الجملة الطلبيَّة في كتاب نفحة من الإيمان للكاتب المصري يوسف السّباعي

د.إيمان كريم جبار الحريزي والباحثة زينب كاظم هادي المرشدي*

ملخص البحث:

انشغل علماؤنا الأفاضل بدراسة الجملة الطلبيّة العربيّة وهو مبحث هامٌّ توزّع بين النّحو والبلاغة إذ كثُرت دراساتها وتشعبّت غاياتها، وأنّ أساليبها الإنشائية من أهم الأساليب حضوراً في خطابنا اليوميّ، وحواراتنا عامّة كانت أم خاصّة، عاديّة كانت أم تعليميّة، وهي الأساليب الطلبيّة، وهذه الدراسة الموسومة (الجملة الطلبيّة في كتاب نفحة من الإيمان للكاتب المصري يوسف السباعي) تقدّم عرضًا يسيراً لأنواع الجملة الطلبيّة يجمع بين الأمر، والنّهي، والاستفهام، والنّداء وتطبيقاتها في مبحثين الأوّل للدراسة النّظرية وتضمّن (لمحة يسيرة عن جملة الطلب عبر الأساليب المذكورة) والثاني للدراسة التطبيقية في الكتاب، ثمّ قَدم البحث خلاصة لأهم النتائج المستقاة منه.

نأمل أن ينال هذا البحث رضا واستحسان قارئه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الكلمات المفتاحية: الأساليب، الطلبية، نفحة، الإيمان، يوسف، السباعي

المقدّمة:

الحمدُ لله الذي علّم بالقلم .. علّم الإنسان ما لم يعلم .. والصّلاة والسّلام على من أوحى إليه أن: اقرأ .. فقرأ وهو خير من قرأ ونطق، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

* جامعة الكوفة.

وبعد ..

فهذه الدراسة الموسومة (الجملة الطلبيّة في كتاب نفحة من الإيمان للكاتب المصري يوسف السباعي) تقدّم عرضًا يسيرًا لأنواع الجملة الطلبيّة يجمع بين الأمر, والنّهي, والاستفهام, والنّداء وتطبيقاتها في مبحثين الأوّل للدراسة النّظرية وتضمّن (لمحة يسيرة عن جملة الطلب عبر الأساليب المذكورة) والثاني للدراسة التطبيقية في الكتاب، ثمّ قَدم البحث خلاصة لأهم النتائج المستقاة منه.

وقد سبقت هذه المباحث بتمهيد قاربنا فيه مصطلحات العنوان بدءًا من حياة الكاتب وآثاره، وسبب تسمية الكتاب محلّ البحث، وقد سرنا في البحث على منهج انتقائي نذكر فيه الشاهد ثمّ نقدّم إضاءة بسيطة عن القصّة التي ورد فيها.

وبعدُ، نتمنى أن يكون هذا العمل من العلم النافع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد: تعريف بمصطلحات العنوان

أولًا: مقاربة في حياة الكاتب يوسف السّباعي

هو أديب مصري قاصّ ومؤلف خصب من أبرز وأشهر كتّاب القصة الطويلة في مصر والبلاد العربية في الثلث الثاني من القرن العشرين، كان إلى حين مقتله رئيسا لمجلس إدارة جريدة الأهرام ورئيسا لتحريرها، ورئيسا لنقابة الصحافة المصرية والأمين العام لرابطة الكتّاب المصريين وأصبح وزيرا للثقافة في آذار ١٩٧٣م، ولد في القاهرة ١٩١٧م، والده القاص المصري رئيس المترجمين المحدثين المرحوم "محمد السباعي" وعنه أخذ هواية القصة بعد أن قرأ معظم ما ترجمه أبوه عن أساطين القصة في أوربا أمثال "تشيخوف" و "موبسان" [١] وكلت إليه مهام عدّة، منها:

[١] ينظر: مصادر الدراسة الأدبيّة، أسعد داغر :١.

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ونادي القلم، ونادي القصة، وجمعية الأدباء، واتحاد الكتاب المصري واتحاد الأدباء والكتاب العرب، واتحاد كتاب آسيا وافريقيا، وقد أطلق عليه المفكر الراحل توفيق الحكيم لقب رائد الأمن الثقافي ؛ لبراعته في كلّ ما ذكرنا[٢].

اختتمت حياة "يوسف السباعي" بنهاية أليمة حين اغتيل على يد اثنين من المتطرفين الفلسطينيين في يوم السبت الموافق ١٨ فبراير من عام ١٩٧٨ بـ"بيقوسيا "في "قبرص"حيث كان في زيارة رسمية إليها لحضور مؤتمر "منظمة التضامن الإفريقي الأسيوي" وذلك بدعوى تحريضه في مقالاته على السلام مع إسرائيل، وبعد حوالي ثلاثة أشهر من مرافقته للرئيس "السادات " في زيارته لإسرائيل[٣].

ثانيًا: أهم أعماله

لديه العديد من مؤلفات المنشورة وكتبَ أربع عشرة رواية بدأها بـ (نائب عزائيل ١٩٤٧) وأنهاها برواية (ابتسامة على شفتيه ١٩٧١) كما كتب المقالات والمسرحيات والقصص اذكر بعضها فيما يلي :

١. اثنتا عشرة امرأة (مجموعة قصص قصيرة)١٩٤٨
٢. اثنا عشر رجال (مجموعة قصص قصيرة) ١٩٤٩
٣. أرض النفاق ١٩٤٩
٤. اطياف ١٩٤٧
٥. أيام مشرقة ١٩٦١
٦. رد قلبي ١٩٥٤
٧. السقامات ١٩٥٢
٨. طريق العودة ١٩٥٦

[٢] ينظر: يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، لوسى يعقوب :١٦.
[٣] ينظر: رؤية المكان في روايات يوسف السباعي، رضا السيد العشماوي:٨.

٩.في موكب الهوى (مجموعة قصص قصيرة)١٩٤٩

١٠. مبكى العشاق ١٩٥٠

١١. نائب عزرائيل ١٩٤٧

هذه بعض أعمال يوسف السباعي من مجموع (٤٣) مؤلفا بين القصص والروايات، والمقالات والمسرحيات٤.

ثالثاً: تعريف بكتابه (نفحة من الإيمان) وهو مدار البحث:

كتاب مهم جداً أهداه يوسف السباعي إلى زميله الكاتب المصري المعروف إحسان عبدالقدّوس، لمستُ فيه الأسلوب الجميل، والحوارات البسيطة البعيدة عن التكلّف، إذ يورد الكاتب الآية القرآنية، ويأتي بالقصّة على غرارها، وقد وجدتُ فيه كل أنواع الجمل الطلبيّة وغير الطلبيّة لكنّ البحث مقتصر على الجملة الطلبية بحسب مقتضيات العنوان، واللافت للنظر في هذا الكتاب أنّ هناك قصصا جاء بها الكاتب ولم تكن مسبوقة بآية قرآنية، نذكر على سبيل التمثيل قصة (٣٠ فضّة)،وقصص أسماها (صور طبق الأصل) وهي مجموعة ذكر أنّه أخذها من النّاس، مثل قصة (خال علام)، (رحت الفرن) و(أمام الفك) و(الوسواس الخنّاس) وغيرها.

تأتي تسمية الكتاب مقتبسة من قصة أوردها الكاتب فيه استهلّها بالآية المباركة من قوله تعالى :{إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤)} [مريم: ٣٠ – ٣٤]

٤ ينظر: مصادر الدراسة الأدبية:١٤.

تحكي قصة شابّ في مقتبل العُمر يرعى الغنم وبجواره رجلان أحدهما شابّ أيضًا والآخر كبير السّن، وقد هرب من القطيع حملٌ صغير إلى حافة الهاوية، وقد أشار إليه الرجلان أن يتركه وشأنه وأنّه لا فائدة من ملاحقته لكنّ الرجل الكبير لم يستسلم ورفض الفكرة وأصرّ على الملاحقة ليخلّص الحمل الصغير، يقول الكاتب:" أخذ يدبّ متكئا على عصاه والشمس قد توسطت كبد السماء وامتدت منها ألسنة من السعير تلفح وجهه وتلهب جسده وبدا الطريق شاقًا أمامه... ولم يحسّ الرجل بألم الجوع قدر ما أحسّ بمرارة الفشل أن تقعده حاجته إلى الطعام عن إنقاذ ذلك الحمل الصغير الأحمق الذي دفعه طيشه إلى أن يتسلل من بين القطيع ويضل في جوف الهاوية"[٥]، وبعد معاناة شديدة وصلت بالرجل الطاعن إلى أن يفقد وعيه ويذهب في غيبوبة، بعد أن أفاق منها رأى صبيا يكتسي بثوب أبيض أقبل عليه حاملا الحمل الصغير برفق بين يديه، وأخذ الرجل المُسن بعد أن عاش فرحة اللقاء يؤنب الحمل الصغير لعدم قبوله النصيحة وأنّ نصحه إيّاه كلام يسهل قوله ويصعب سماعه، وبعد ساعات من لقاء الرجل المُسن بالصبي الذي أنقذ الحمل، سأله الصبي عن المدة التي يعمل فيها راعيا، وأجابه: " منذ ولدتُ يا بُني ..إنّي لا أكاد أذكر نفسي إلا راعيا. ولكن كان خيرا لك لو سألت منذ كم تركت الرعي؟ فإنني لم أعد راعيا منذ اثني عشر عاما لقد أضحيت في نظرهم كهلا لا يصلح للرعي، بل يحتاج إلى من يرعاه أو كما يسمّونني الحُطام"[٦].

خلاصة القصّة هي أن الكاتب أراد إيصال فكرة مفادها أنّ القوة ليست بالقوة الجسدية بل بقوة القلب والإيمان فهناك أناس يولدون حطاما ويذهبون إلى الأجداث حطاما، أمّا هذا الرجل الطاعن في السن فقد كان قويًا بإيمانه حتى مماته، إذ إنّ نهايته كانت بعد عودته بالحمل وجده أصحابه جثة هامدة خارت

[٥] نفحة من الإيمان:١٤١.
[٦] نفحة من الإيمان:١٤٤.

فيها قواه من الجوع والتعب فرثوا له يقول الكاتب: "ولكنهم لو أدركوا أن روحه تنعم في ظلال الجنان لرثوا أنفسهم"[٧].

المبحث الأوّل: الدراسة النّظريّة

أولًا: مفهوم الأمر

يعدّ الأمر من أكثر المفاهيم الإنشائيّة علاقة بظاهر القول؛ لأنّه مباشر، ممّا لا يستدعي للمتلقّي، وقفة تأمّليّة، وقد كثر في أقوال العرب من الشعر والنثر والخطابة، والْأَمْرُ في اللغة مِنَ الْأُمُورِ، وَالْأَمْرُ ضِدُّ النَّهْيِ[٨]، وهو من أساليب الطلب في اللغة العربية وقد اشتغل الدارسون في هذه الصيغة في كثير من المجالات، وخاصة الفقهاء وعلماء الأصول لاتصال الصيغة بالوجوب والندب، وما إلى ذلك من أحكام فقهية[٩].

و الأمر في الاصطلاح هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، إذ يصدر من الأعلى إلى الأدنى[١٠] وصيغه في العربية متنوعة بحسب سياق الكلام، وقرائن الأحوال[١١]، والأشهر أنّها أربع صيغ، نكتفي بذكر الصيغتين الأولى والثانية لعدم ورود الصيغ الأخرى وهي اسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر، وهي :

صيغة فعل الأمر :

هذه الصيغة هي (افعل)[١٢] نحو قوله تعالى : {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ } (سورة النور/٢).

صيغة (ليفعل) :

---

[٧] نفحة من الإيمان:١٤٦.
[٨] مقاييس اللغة:١/١٣٧.
[٩] ينظر:دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى:٢٤٧.
[١٠] علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق :٥٨ .
[١١] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني:٢/٩٠.
[١٢] الكتاب، سيبويه، ١/ ١٣٧.

هذه الصيغة مكوّنة من (لام) الأمر والفعل المضارع المجزوم بتلك (اللام)[١٣] وهذه اللام تكون أمر الغائب[١٤] فقط. وعليه، فإنّ صيغة (ليفعل) تكون لغير المخاطب[١٥]. إلّا أنّها قد تأتي للمخاطب فتفعل بالفعل توكيدا. قال الزجاجي: (فأمّا إذا أمرت مخاطب فإنّك غير محتاج إلى اللام). كقوله: اذهب يا زيد وربما أدخلت اللام في هذا الفعل أيضًا توكيدًا فقيل :لتذهب يا زيد.[١٦]

ثانيًا: مفهوم النّهي

النّهي في اللغة خلافُ الأَمْر، تقول: نَهَيْتُهُ عنه، وفي لغةٍ: نَهَوْتُهُ عنه. والنِّهاية: الغاية، حيث ينتهي إليه الشَّيء[١٧]، وفي الاصطلاح هو طلب الكفّ عن الفعل على جهة الاستعلام والإلزام، فيكون من جهة عليا ناهية إلى جهة دنيا منتهية، وله صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بلا ناهية مثل : لا تصاحب الأشرار، لا تفعل السوء، لا تكف عن البذل والعطاء[١٨].

ثالثًا: مفهوم الاستفهام

اَخذ الاستفهام من فهِمْتُ الشَّيء فَهَماً وفَهْماً : عَرَفْتُه وعَقَلْتُه، وفهّمتُ فلانا وأَفْهَمْتُه: عَرَّفْتَه[١٩] ورجلٌ فهِم: سريعُ الفَهم، وَيُقَال: فَهْم وفَهَمٌ وتفهَّمْتُ الْمَعْنى: إِذا تَكَلّفْتَ هَمَه[٢٠]. والاستفهام مصدر (استفهمتُ) أي طلبتُ الفهم وهذه السين تفيد الطلب[٢١].

---

[١٣] ظ: الكتاب:١/١٣٨.
[١٤] ينظر: اللامات للزجاجي :٨٨
[١٥] الكتاب:١/١٣٨.
[١٦] المقتضب:٢/٤٤.
[١٧] ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي :٤/٩٣.
[١٨] علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني، د بسيوني عبد الفتاح فيود:٨١.
[١٩] كتاب العين:٤/٦١.
[٢٠] ينظر: تهذيب اللغة:٦/١٧٧.
[٢١] شرح المفصّل، ابن يعيش:٨/٧٦.

وعرّف الاستفهام في الاصطلاح بأنّه طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه مالم يكن حاصلًا قبلُ[٢٢]. والطلب في الاستفهام يختلف عنه في أقسام الطلب الآخر، يقول السكاكي:" والفرق بين الطلب في الاستفهام وبين الطلب في الأمر والنهي والنداء واضح فإنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق وفيما سواه تنقش في ذهنك، ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابق فنقش الذهن في الأول تابع وفي الثاني متبوع"[٢٣].

للاستفهام أدوات يؤدى بها، وهي تقع في ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يُستَفْهَمُ به عن التصوُّر والتصديق، وهو "همزة الاستفهام" فقط، وهو حرفٌ لا يكون له محلٌّ من الإعراب في الجملة.

القسم الثاني: ما يُستَفْهَمُ به عن التصديق فقط وهو لفظ "هَلْ" وهو حرفٌ أيضاً، لا يكونُ له محلٌّ من الإعراب في الجملة.

القسم الثالث: ما يُستَفهَمُ به عن التَّصَوُّر فقط، وهي سائر أدوات الاستفهام، وهذه جميعُها أسماء، وهي: "مَا – مَنْ – أَيٌّ – كَمْ – كَيْفَ – أَيْنَ – أَنَّى – مَتَى – أَيَّانَ"[٢٤].

التّصوّر: هو إدْراكُ المفرد، ويُطْلَبُ بالاستفهام عن التصّور إدْراكُ المسند إليه، أو إدْراكُ المسند، لتعيينه، ويكونُ الجوابُ بتعيينِ المسؤول عنه، مُسْنداً كان أو مُسنداً إليه. مثل:

❖ أضَرَبَ خالدٌ أَمْ أكل؟ والجواب: ضرب – أو – أَكل. متى يُفْطِرُ الصّائم؟ والجواب: إذا غربتِ الشمس.

التصديق: هو إدْراك النسبة الحكميّة بين المسند والْمُسْنَد إليه، موجبةً كانت أو سالبة.

مثل:

---

[٢٢] ينظر: التعريفات:٢٢.
[٢٣] مفتاح العلوم:٣٠٤.
[٢٤] البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني:٢٥٩.

❖ هل بُعِثَ خَاتم المرسلين؟ والجواب: نعم، بُعِث.

❖ هل ظهر المسيح الدجال؟ والجواب: لا، لم يظهر بَعْدُ[٢٥].

رابعًا: مفهوم النداء

جاءت كلمة النِّداء والنُّداء في مادة نَدَى، بمعنى الصوت مثل الدّعاء والرّغاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداء وأي صاح به، وأندى الرجل إذا حَسُنَ صوته[٢٦].

وفي الاصطلاح: هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب ادعو لفظًا أو تقديرًا -أي طلب المتكلم إقبال المخاطب حسًّا أو معنى والمراد بالطلب الطلبي اللفظي؛ لأنه هو الذي من أقسام الإنشاء، فمفاد حرف النداء ومدلوله "ادعو" ولذلك لا يجزم الفعل بعده وجوبًا، وأما الإقبال فهو مطلوب باللزوم فالنداء من أقسام الطلب لدلالته على طلب الإقبال لزومًا[٢٧]. وللنداء ثمانية حروف هي : (الهمزة وأي) لنداء القريب، و(يا، أيا، هيا، آه، آي، وا) لنداء البعيد[٢٨]. وقد ينزل البعيد منزلة القريب، فينادى بالهمزة أو أي، تنبيها إلى أنّه لا يغيب فيُنزَّل منزلة البعيد، فينادى بغير الهمزة وأيُ للإشعار والدّلالة على عُلوِّ مرتبته، أو الإشارة إلى انحطاط منزلته، أو غفلته، أو غفلته وشرود ذهنه . وقد تخرج ألفاظ النداء عن المعنى الأصلي إلى معانٍ أخرى تستفاد من القرائن[٢٩].

جدير بالذكر أنّ هذه الأساليب (الأمر، النهي، الاستفهام، النداء) تخرج من دلالتها الحقيقية إلى دلالات أخرى تفهم من السّياق ` أمّا هذا البحث فيركز على

---

[٢٥] البلاغة العربية:٢٦٠.
[٢٦] ينظر: لسان العرب، ابن منظور :٢/٢٢٧.
[٢٧] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة :٣/٩١.
[٢٨] ينظر: المختار من علوم البلاغة والعروض، د. محمد علي سلطاني:٥٧٠.
[٢٩] ينظر: معين الطالب في علوم البلاغة، محمد أمين الضناري :٦٢.

الجملة الطلبيّة وتطبيقاتها في القصة مع عرض موجز ميسّر لفحوى القصة في ضوء الآيات المباركة الواردة فيها.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقيّة

النموذج الأوّل : قصة لا تسألوا

في ضوء الآية المباركة: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ } [سورة المائدة: ١٠١] .

فحوى القصة أنّ هناك رجلا يدعى الحاج (درويش) يسكن إحدى الحارات المتقاطعة (الخيّامة) يعمل في حانوت، كان تقيًّا وورعًا يحبّه الجميع ويقدّره، كان رافضًا للزواج ومكرّسًا حياته للعبادة إلى أن تقدّم به العمر، فأقنعته أخته بالزواج فتزوّج وعاش حياة هانئة مع زوجته، ولم يرزق بطفلٍ منها لعدّة سنوات، كان كثير الدعاء والتقوى، وقد تحقق مراده بفضل الله، فحملت زوجته وكان ينتظر مولوده بفارغ الصبر، ولكن شاءت الأقدار أن تتعسّر الولادة ويموت الطفل والأمّ معًا، فحدثت لديه ردّة فعل عنيفة وضعف إيمانه، وسنرى ذلك في سياق خطابه مع البارئ عزّ وجل في عبارات الاستفهام، وبعد أن أفاق من صدمته استغفر الله عزّ وجل.

وكانت طيلة مدّة الصدمة يسمع الآيات المباركة التي تتلى في المسجد ويعلّق عليها تعليقًا ساخرًا كأنّه يهذي ومن تلك الآيات الآية الكريمة المذكورة في أعلاه، إذ يجيب وهو في يأس وبؤس :"لا شيء يسؤني أكثر ممّا فعلت بي لقد بلغ السيل الزبى لقد ضلّت نفسي.."[٣٠].

[٣٠] نفحة من الإيمان :١٣-١٤.

ولكنّه بعد أن أفاق من صدمته حمد الله سبحانه وتعالى وبعدها عاد إلى حانوته يقول الكاتب :"محدودب الظهر كسير القلب، لقد استعاد إيمانه بالله لكنّه فقد إيمانه بالبشر ولم يعد له من قول يردده إلا الآية الكريمة"[٣١].

ورد أسلوب الأمر بصيغة فعل الأمر(خذها) في قوله حينما بُشّر بالصّبي :" خذها حلاوة بشرى أتوقع سماعها"[٣٢].

وورد الاستفهام في قوله معترضًا على حكم الله في أثناء الصدمة :" وماذا في ذلك ..ألم تجعل بيوت الله للهداية؟"[٣٣].

وقوله: "أ يحقّ له أن يدخل بيت الله.. ونفسه كافرة بالله؟"[٣٤].

وقوله:" ما حكمتُكَ يا ربِّ؟.. كيف تأخذها هكذا على غرّة؟.. وهي القوية السليمة التي لم تمرض قط"[٣٥].

وقوله متسائلا :" هكذا؟ أهذه هي بُشرى العندليب؟"[٣٦].فنرى أنّه وظف أكثر من أداة الهمزة، ما، كيف، لتحقيق مراده ولا شك في أنّ هذه التوظيفات قد أسهمت في إثارة خليط من المشاعر وأضفت حماسًا على النّص.

وورد النداء على لسانه (الحاج درويش) في أوّل كلّ الصباح : " يا فتّاح يا عليم يا رزاق يا كريم"[٣٧] وقوله مناجيًا الله سبحانه وتعالى :"أنت موجود يا إلهي أنت ترى وتسمع"[٣٨].

فجاء النداء من أروع ما يكون وهو ينمّ عن نفس إيمانيّة تدرك وجود الذات الإلهيّة وأنّ الله لا يفعل شيئًا بالعباد إلّا وفيه حكمة تقتضيها مصالحهم، فالنداء الأوّل هو

---

[٣١] نفحة من الإيمان:١٤.
[٣٢] نفحة من الإيمان:١١.
[٣٣] نفحة من الإيمان:١٣.
[٣٤] نفحة من الإيمان:١٢.
[٣٥] نفحة من الإيمان:١٣.
[٣٦] نفحة من الإيمان:١٢.
[٣٧] نفحة من الإيمان:٥.
[٣٨] نفحة من الإيمان:١٣.

نداء مفرد وهو مبنيّ على الضم في محل نصب، والثاني مضاف إلى ياء المتكلّم وهو مخصوص بالذات الإلهيّة المقدّسة.

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

النموذج الثاني: عودة التائه

في ضوء الآية الكريمة من قوله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) } [سورة البقرة: ١٥٤]

هذه القصة تتحدث عن ضابط مصري أيام المعركة كان في استراحة وهو مكره عليها ووصف نفسه بأنّه كالتائه الضال المنفي عن موطنه وأهله وخلّانه فقطع إجازته وذهب إلى المعركة وهي في اشتداد أوارها وكان قد استشهد صاحبه في اليوم التالي لعودته، فصوّر حاله وحال الجُند معه وعزمهم لأخذ الثأر، وبعد أن أخذ بثأره وأصبح الأعداء جثثًا هامدة، ذهب ليودّع صديقه في مثواه الأخير وعبّر عن مشاعره وإحساسه إذ يقول:" وأنا أراه يثوي في مقره أنه لا يدفن في الأرض بل يوضع على هام السُّحب"[٣٩].

من أساليب الطلب الواردة في القصة النداء المضاف إلى ياء المتكلم مرتين يقول الكاتب على لسان بطله (الضابط):" أنا يا أخي غريب بينكم، غريب عن داري، غريب عن وطني"[٤٠].

فصوّر غربته وما يحسّ به عبر أسلوب النداء.

وورد النداء أيضًا بقوله: "صدّقني يا أخي . لقد نسيت أضواءكم وعطوركم وضجيجكم ونسيت شوقي إليكم وحنيني إليكم"٤١

---

[٣٩] نفحة من الإيمان :٦٨.
[٤٠] نفحة من الإيمان :٥٩.
[٤١] نفحة من الإيمان :٦٠.

وقوله :" أنا يا أخي غريب بينكم، وأهلي هناك في حومة الوغى رابضين كالأسود، أو واثبين كالفهود!"[٤٢]

ويقول مستفهمًا ومبيّنا شوقه إلى مدينته:" كم تقتُ إلى أضواء المدينة وضجيجها و عجيبها"[٤٣].

ويقول أيضًا مصورًا حاله بعد رؤيته صديقه غارقًا في الدماء مسرعًا إليه: "وتلقاني صوت حبيب إلى نفسي يهتف :قف. مَن أنتَ؟ وناديت الحارس باسمه وذكرتُ له اسمي، فهتف مرحبا في دهشة وذهول، وسألني التقدّم"[٤٤].

فنرى توظيف فعل الأمر (قف) وأداة الاستفهام (مَن) وهي للعاقل وظفها الكاتب ليزيد الحوار شوقًا وإثارة عبر السؤال والإجابة.

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

النموذج الثالث: عويل الرياح

في ضوء الآية المباركة من قوله تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩)}

[سورة يونس: ٤٩]

هذه قصة تحكي عن شخص اسمه محمود له ابن عم لأبيه رجل غني وميسور الحال، يحكى أنّ هذا الرجل يسكن في بيت مسكون أو حوله شكوك بأنّه مسكون ممّا يشاع آنذاك وتصدقه الناس، وذات يوم دعاه عمّ أبيه مع زوجته إلى الغداء وكان الغرض من الزيارة هو تسجيل كل ما يملك العم للشاب قريبه محمود ولكنّه لا يعلم، أمّا ليلى زوجة محمود فأقنعته بالذهاب لتناول الغداء وقبول الدعوة لكنّه رفض بحجة وعورة ورداءة الطريق، وبعد الإلحاح من زوجته وافق على الذهاب، وذهبا إلى هناك وتناولا الغداء وتمت قضية الإرث، وفي أثناء عودتهم

[٤٢] نفحة من الإيمان :٦٠.
[٤٣] نفحة من الإيمان :٥٩.
[٤٤] نفحة من الإيمان :٦٥.

إلى المنزل حدثت أشياء غريبة في الطريق بسبب سوء الأحوال الجوية وبدأت ليلى تميل إلى تصديق الشائعات حول شؤم الدار التي ورثها زوجها والخرافات التي لحقتها حتى تخيل لها أن هناك حفرة في الطريق تبدو كأنّها تبتلعهم، ولما نزل زوجها ليتفحص الأمر لم يجد شيئا ووجد الطريق جيدا، لكنّها بقيت مُصرّة على أنّ عويل الرياح منذر بشؤم وحوادث سيئة لكنّه كان يطمئنها أن هذه الحوادث لاتصيبهما بل تصيب من أخبرها بذلك وهو عمّه، وبعد مدّة سيطر الخوف على ليلى وأفقد محمود سيطرته على القيادة وسقطت السيارة في ترعة في الطريق ذهب هو ضحية الحادث واستيقظت ليلى لتجد نفسها راقدة على الفراش في إحدى المستشفيات، ولتعلم أنّها نجت بأعجوبة واندفعت تصرخ كالمجانين وتصيح بمن حولها: مستحيل، مستحيل لقد قال إنّنا أبعد ما نكون عن لعنة الدار إن البيت لم يصبح لنا بعد وأن عمه مازال على قيد الحياة، ولكن أخبرها مَن في المشفى أنَّ الرياح قد أسقطت سقف البيت ومات الرجل في الساعة السابعة أما زوجها فمات الساعة السابعة وخمس دقائق لقد ورث الدار لمدة خمس دقائق وهذا كافٍ لإن يحل به شؤمها.

ومن أساليب الطلب الواردة في القصة الاستفهام الوارد في الحوار الآتي بين محمود وزوجته عبر (الهمزة، و ما) :

-وأنصتت ليلى في دهش وتساءلت:

-محمود، أتسمعُ هذا؟

-ماذا تقصدين؟

-هذا الصوت العجيب الشبيه بصوت امرأة تولول وتنوح

-أتعنين صوت الرياح تنفذ خلال أشجار الجازورينا؟

أجل، إني ما سمعتُ الريح تولول بمثل هذا الصوت الحزين[٤٥].

[٤٥] نفحة من الإيمان:١٢٤.

وورد النهي بـ (لا) مع الفعل المضارع (تخشَ) في سياق حديث محمود مع عمه حينما سخر محمود من الشائعات حول شؤم البيت يقول:" لا تخشَ شيئا .إن شاء الله ستتمتع بعمر طويل وسأتمتع بعدك بعمر أطول"[٤٦].

وورد الأمر أيضا مكرورا أكثر من مرة بالفعل (قف) في سياق حديث دار بين محمود وزوجته لحظة وقوع الحادث قالت:" قف .قف إن أمامك حفرة كبيرة توشك أن تهوى فيها وضغط محمود الفرامل فتوقفت العربة"[٤٧] وقولها:" قف . قف لقد ضللت الطريق ليس أمامنا قنطرة وفي تلك اللحظة هوت العربة إلى جوف الترعة وضاع صراخها بين القرقعة وعويل الرياح"[٤٨]

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

النموذج الرابع: نور مثال

في ضوء الآية المباركة من قوله تعالى: [وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)](سورة الليل /١٧-٢١).

قصة عن شخص مصري يدعى أحمد أفندي الصراف يعمل في الأوقاف وقد اتخذ دارا كانت في الأصل قصرا لأحد القادة القدماء ولكن عفا عليها الزمن وتغيّرت رسومها فأصبحت دارا مهجورة

هذا الرجل كان تقيا وورعا يسعى في الخير ويوزّع المبالغ التي يحصل عليها من الأوقاف على الفقراء وكانت إحدى النساء التي تأتي إليه اسمها (نور مثال عصمت جمال الدين) امرأة وقور تأتي إليه في كل شهر وبساعة ووقت مخصوص، وأثوابها رثّة، وفي أحد الأشهر لم تأت بالموعد نفسه على غير عادة وتحدث السيد أحمد إلى صديقه وقال له ربّما عاقها عائق، فوضع السيد أحمد لها المبلغ في

[٤٦] نفحة من الإيمان:١٣٢.
[٤٧] نفحة من الإيمان:١٣٤.
[٤٨] نفحة من الإيمان:١٣٥.

الأمانات، وفي الشهر الثاني أتت لاستلامه لكنّها هذه المرة طلبت منه طلبا غريبا أن تتجول في الدار وأجابها بأنّه مليء بالقمامات والأتربة والأخشاب والحجارة ومع اصرارها أبدى موافقته ولكنّه رأى شيئا على وجهها كأنّها قد استعادت ذكريات مؤلمة في أثناء تجولها في الدار، وبعد أن أكملت جولتها طلبت منه أن تأخذ أموالا لعدة شهور مسبقة بكونها لم تستطع الحضور، أبدى موافقته وأعطاها المال وانصرفت، ولكنّها نسيت شيئا في مكتبه ولم يدخر الرجل جهدا في العثور على عنوانها فذهب إليها وقد فتحت له الخادمة الباب وأخبرته أنّها أصيب بالإغماء بعد عودتها من الأوقاف وهي راقدة في الفراش، وفي أثناء حديثها معه تبين أنّها تركته عمدا حتى يأتي لزيارتها قبل أن ترحل، وأخبرته أنّها كانت دائما تراه الفارس الذي يأتي على جواد لينقذها من الفقر والمسغبة ثمّ قالت من كان يصدق هذا أنّي سأعود إلى قصرنا لأستلم منه حسنة هل تعرف أن مكاتبكم هذه كانت مرتع صباي في زمن مضى وعاودت بها الذكريات مع الرجل وهي تلتقط أنفاسها الأخيرة وطلبت منه أن يأخذ المال الذي تكرم به عليها، وماتت نور مثال وقد بكاها بأحرّ ما بكى ولم يكف عن زياتها[٤٩].

أمّا الجملة الطلبية فوردت عن طريق صيغة (ليفعل) بقول الشخصية الثانية للقصة وهو صديق أحمد أفندي :"لندع أحمد أفندي يُحيّي الغفير الواقف على الباب ..ولنتريّث برهة لنتجوّل حول البناء جولة عابرة"[٥٠].

وقال بعدها: "لنترك السلاملك على يميننا فلا أظن سلمه بمفضٍ إلا إلى حجرتين عاتيتين كانتا فيما سبق تستعملان للضيوف"[٥١].

وورد الاستفهام بـ(هل) في سياق وصف بطل القصة الثاني لطول قامة أهل الجيل في الزمن الماضي عندما رأى علو السقوف في المنزل البالي:" وهل كانوا يسيرون

---

[٤٩] نفحة من الإيمان :٦٩-٨١.
[٥٠] نفحة من الإيمان:٧٠.
[٥١] نفحة من الإيمان:٧٠.

فرادى أم كانوا لا يسيرون إلا وقد حمل أحدهم الآخر على كتفيه؟ وإلّا فعلامَ كان كل هذا الارتفاع في الأسقف؟"[٥٢].

وورد الأمر و النهي معًا في جملة واحدة في قوله أيضا:" لنتقدّم الحُجرة أو دورة المياه السابقة، لاتتأففوا فالمكان نظيف جاف. فقد كفّ عن استعماله منذ زمن والمكان بحد ذاته مكان ذو فخامة سابقة ومجد قديم"٥٣.

فهنا جاء النهي مع الفعل المضارع وحذفت منه النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة.

ورد الأمر أيضا بقوله: "لنتأمل أحمد أفندي برهة وهو مكب على رصد بعض الأرقام في الاستمارات"[٥٤].

وورد النهي أيضا في سياق حديث أحمد أفندي مع صاحبه عندما تعطلت المرأة (نور مثال) ولم تأت الأوقاف لاستلام المبلغ، وقد اشترك في الجملة أسلوبان نهي ونداء يقول :"لها ربّنا يا أحمد أفندي، لا تشغل نفسك بهموم الناس"[٥٥].

فالمنادى أحمد وهو علم مبني على الضم في محل نصب، والفعل (تشغل) مجزوم بـ(لا) وعلامة جزمه السكون لأنه صحيح الآخر.

ووردت أساليب الطلب مجتمعة أيضا في سياق حديث أحمد أفندي مع نور مثال حال وصولها وهو متلهف لمعرفة سبب تأخيرها في المرة الماضية، فقال:" حمدا لله على السلامة، إنك لن تأخذي شهر يناير، لقد اضطررنا إلى أن نضعه لك في الأمانات وستنتظرين بعض الوقت لأخذه، تفضلي، استريحي على هذا المقعد حتى أنهي لك المسألة، لا تؤاخذينا على ضيق المكان، إنه كان حماما فيما سبق، أتشربين قهوة؟

---

[٥٢] نفحة من الإيمان:٧٠.
[٥٣] نفحة من الإيمان:٧١.
[٥٤] نفحة من الإيمان :٧٢.
[٥٥] نفحة من الإيمان :٧٧.

قالت: كثّر خيرك لا داعي للتعب، فصاح أحمد أفندي : يا محمود، محمود، هاتِ قهوة للهانم، أهلا وسهلا، وانهمك أحمد أفندي في الكتابة حتى يعجل بصرف المبلغ.[٥٦]

تفضلي، استريحي، أفعال أمر واردة في القصة، وجاء النهي بقوله :لاتؤاخذينا ' أمّا الاستفهام فكان عن طريق الهمزة، والنداء بقوله : يا محمود، وظف الحرف ياء والمنادى مبني على ضم لأنه اسم علم.

والأمر الأخير ورد بقول أحمد أفندي (دعي) وهو يودّع نور مثال وقد طلبت منه أخذ المبلغ الذي كانت تنوي أن تسدد به الديون تجنبا لإحراجه ووضعه في مأزق، قال لها: لا عليك من بأس، دعي الأمر لي"[٥٧].

الخاتمة

تناولنا في هذه الدراسة الجملة الطلبية كما وردت في كتاب نفحة من الإيمان، وتضمنت الدراسة مبحثين، ومقدمة، وتمهيد، وخاتمة. وهذه مجموعة من النتائج التي خرج بها هذا البحث:

- خُصص المبحث الأول للدراسة النظرية أما المبحث الثاني فهو للدراسة التطبيقية، وقد ورد من صيغ الأمر صيغتان، صيغة (افْعَل)، وصيغة المضارع المقرون بلام الأمر .
- وقد كان أسلوب النهي واضحاً اعتمد فيه الكاتب صيغة النهي الوحيدة وهي (لا) الناهية مع الفعل المضارع المجزوم)، لكنّه كان يأتي مرتبطاً تارة مع ألف الأثنين وواو الجماعة ومع ياء المخاطب وتارةً يأتي معزولاً عن أي رباط.
- وأما الاستفهام فجاء بالهمزة وهل فحسب، بناء على مقتضيات الحوار، وفي جملة النداء وجدنا أن الكاتب أكثر منه في كتابهِ متجليًا باستعمال حرف

[٥٦] ينظر : نفحة من الإيمان :٧٧
[٥٧] نفحة من الإيمان:٨٢.

النداء (يا) ؛لأنها الأشهر من بين حروف النداء، وورد أيضا حرف النداء محذوفاً وهذه ظاهرة شائعة في النداء وكثيرة عند الشعراء والكتاب لأغراض بلاغية وأسباب تقتضيها المقامات وسياق الأحوال، وقد ورد المنادى مضافاً، ومفردا والحمد لله أولا وآخرا.

المصادر والمراجع:

- ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكريا)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨١.
- أبو موسى محمد، **دلالات التراكيب دراسة بلاغية**، ط٤، مكتبة وهبة القاهرة، ٢٠٠٨م.
- الأزهري، محمد بن أحمد، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
الاسكندرية، الناشر دار المعرفة الجامعية,٢٠٠١م.
- الأفريقي، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**,ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣.
- البغدادي، عبدالرحمن بن اسحاق، ابو القاسم (ت٣٣٧هـ)، **اللامات**، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ)، **التعريفات**، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٣م.
- السباعي، يوسف، **نفحة من الإيمان**، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، القاهرة,٢٠٠٠م.
- السعيد بيومي الورقي، **اتجاهات الرواية العربية المعاصرة** ، كلية الآداب . جامعة
- السكاكي، **مفتاح العلوم** . تحقيق : عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية . بيروت، ٢٠٠٠م
- السلطاني، ا محمد علي سلطاني، **المختار من علوم البلاغة والعروض**، ط١,عالم الكتب الحديث,بيروت,٢٠٠٤م.
- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت ١٨٠هـ)، **الكتاب**، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل - بيروت، (د ت).

- الشافعي جلال الدين القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي,ط٣، الناشر: دار الجيل – بيروت(د.ت).
- الضناري، محمد أمين، **معين الطالب في علوم البلاغة**، دار الوفاق الأردنية، ط٢، عمان، ٢٠٠٦م.
- عبد الفتاح فيود، بسيوني، **علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني**، ط١، مؤسسة المختار القاهرة، ١٩٩٨م .
- عتيق، عبد العزيز، **علم المعاني**، ط١، دار الآفاق العربية ،مدينة نصر- القاهرة,٢٠٠٦م.
- عوني، حامد، **المنهاج الواضح للبلاغة**، دار إحياء التراث، ط٣، بيروت,٢٠٠٥.
- المبرّد، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ)، **المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الاهرام، القاهرة، ١٩٩٤.
- الميداني، عبدالرحمن بن حسن (ت١٤٢٥هـ)، **البلاغة العربية**، ط ١، دار القلم الدمشقية، دمشق، ١٩٩٦م.
- **الهاشمي**، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، (د- ت).
- يعقوب، لوسي، **يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية**، الدار المصرية اللبنانية مشاهير الكتاب العرب للناشئة والشباب,مصر,١٩٩٩م.

..... ❖❖❖❖❖ .....